مجلة الآداب، م٢٨ ، ع٢ ، ص ص١٠٩ -١٣٦ ، جامعة الملك سعود، الرياض ٢٠١٦ م/ ١٤٣٧ هـ)

مفهوم تاريخ الأدب في مدوّنة مؤرخي الأدب العربي حدود الوعي بالمفهوم وتحولاته

خالد بن عايش الحافي (*)

أستاذ الأدب الحديث المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ٢٥/ ١١/ ١٤٣٦هـ ؛ وقبل في ٨/ ٣/ ١٤٣٧هـ)

الكلمات المفتاحية: المفهوم، الوعي ، تاريخ الأدب، التاريخ الأدبي، مدوّنة، مؤرخو الأدب العربي.

ملخص البحث: يعد مفهوم "تاريخ الأدب" مفهومًا إشكاليّا؛ إذ يثير هذا المفهوم بالرغم من كونه مفهوما حديثًا نِسْبيًّا في الدراسات الأدبية – لا عند العرب وحسب، بل عند الغربيين كذلك – إشكالات عدة بسبب تسميته، أو موضوعه، أو مناهجه. وقد مر هذا المفهوم في رحلته المعرفية بمراحل من التطور، وبتحولات مفاهيمية كشفت عن مستويات مختلفة من التصور، والعمل، والاختلاف في تسميته الاصطلاحية، تقوم كلها على فَهْم لعلاقة التاريخ بالأدب يكون كل واحد منهما بموجبها مكونًا جوهريًّا من مكونات الآخر. وبهذا أصبح لتاريخ الأدب بمركَّبه الإضافي، وللتاريخ الأدبي بمركبه النعتي دلالة تختلف في كثير من وجوهها عن دلالة الآخر. وكان ذلك كله قبل أن تتلقاه الثقافة العربية.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حدود الوعي بهذا المفهوم وتحولاته في تركيبه الإضافي (تاريخ الأدب)، وفي تركيبه النعتي (التاريخ الأدبي) في مدونة مؤرخي الأدب العربي، وبيان الكيفية التي انتقل بها إلى الثقافة العربية، وتلقي مؤرخي الأدب العربي له، وإدخالهم إياه في نسق التداول العلمي العربي، ومحاولة بيان مدى وعي أولئك به، وِفْق الرؤية العربية. ويهتم البحث كذلك بأثر انعكاس ذلك الوعي على المناهج التي أُرِّخ بها للأدب العربي انطلاقًا من الكشف عن محدداته، وبيان دلالته المفاهيمية في بيئته الأولى. وهو الأمر الذي يدعو إلى تتبع أصل هذا المفهوم عند الغربيين، وعند المستشرقين الذين أرخوا للأدب العربي، ومحاولة الكشف عن فهمهم له، ثم تتبعه في مدونة مؤرخي الأدب العربي –وهي مـــدونة

(*) نشر هذا البحث بدعم من مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود.

ثرية واسعة متنوعة شهد العقد الأول من القرن العشرين كمًّا كبيرًا منها. يضاف إلى ذلك كله تعرُّف كيفية اتصال العرب بالمفهوم، وزمن تعرفهم عليه، وقنوات انتقاله إلى الأدب العربي والفضاءات التي ظهر فيها، والصورة التي وصل بها. وختامًا، ما إن كانوا قد عملوا بتلك الصورة أم رفضوها أم حوَّروها إلى صورة أخرى: حسنة أو مشوَّهة.

يعد ضبط المفاهيم وتوضيحها، وبيان دلالاتها وحدودها من الأمور ذات الأهمية الكبرى التي تبنى عليها الأعمال لتكون في مسارها الصحيح، " ذلك أن عدم وضوح المفاهيم خطر كبير على استقامة الفكر"(العروي، ١٩٨٠م:١٢٧). ويعد مفهوم تاريخ الأدب مفهومًا إشكاليًا، "ليس من السهل البحث فيه بإطلاق؛لأنه مجال واسع جدًا، ومن الصعب على أي بحث علمي كيفما كان أن يتناوله برمته، ولكن البحث فيه من زاوية محددة قد يؤدي إلى نتائج محددة"(بوحسن، ٢٠٠٣م:المقدمة). وعلى الرغم من حداثته في الدراسات الأدبية – ليس عند العرب فحسب، بل عند الغربيين أيضًا، يثير هذا المفهوم إشكالات عدة، انطلاقًا من تسميته، أو موضوعه، أو مناهجه. ولا يدّعي هذا البحث الإحاطة بكل إشكالاته، وإنما يهدف إلى الكشف عن حدود الوعي بهذا المفهوم وتحولاته، في تركيبه الإضافي (تاريخ الأدب)، والنعتي (التاريخ الأدبي) في مدوّنة مؤرخي الأدب العربي، وبيان الكيفية التي انتقل بها إلى الثقافة العربية، وتلقي مؤرخي الأدب العربي له، وإدخالهم إياه في نسق التداول العلمي العربي، ومحاولة بيان مدى وعي أولئك به، وفق الرؤية الغربية.ويهتم البحث كذلك بأثر انعكاس ذلك الوعي على المناهج التي أرّخ بها للأدب العربي، انطلاقًا من معرفة محدداته في بيئته الأولى.فهل هو مفهوم واحد ذو دلالة واحدة أم أكثر، أم مفهومان مختلفان لهما تسمية واحدة؟، ولذا سيقوم البحث – ابتداءً- بتتبع أصل هذا المفهوم عند الغربيين، وعند المستشرقين الذين أرّخوا للأدب العربي، ومحاولة الكشف عن فهمهم له، ثم تتبعه في مدوّنة مؤرخي الأدب العربي، وهي مدوّنة ثرية وواسعة ومتنوّعة، شهد العقد الأول من القرن العشرين كمًّا كبيرًا منها (١). يضاف إلى ذلك كله تعرّف كيفية اتصال العرب

(١) ليس من الممكن الإحاطة بمدوّنة مؤرخي الأدب العربي كلها، فالتصانيف فيها كما قال حسين الواد في توطئة كتابه (في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج) " بلغت من الكثرة حدًا يعسر معه تسميتها جميعًا ص٧".وإذا كانت هذه حالها إبّان اشتغال حسين الواد بعمله، فهي اليوم أضعاف ذلك، وعليه فإننا سنكتفي بالكتب الرائدة في هذا المجال، ومنها على سبيل المثال:(تاريخ أدب اللغة العربية لمحمد بك دياب) و(تاريخ آداب اللغة العربية لحسن توفيق العدل)، و(تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية لحنفي بك ناصف) و(تاريخ الآداب العربية للأب لويس شيخو) و(تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان)و(تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي) و(الوسيط في الأدب العربي وتاريخه لأحمد الإسكندري ومصطفى عناني) و(في الأدب الجاهلي لطه حسين) و(تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات) و(تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف) و(الجامع

بالمفهوم، وزمن تعرفهم عليه، وقنوات نقله إلى الأدب العربي، والفضاءات التي ظهر فيها، والصورة التي وصل بها، ثم رصد أهم النتائج التي يتوصل إليها.

المفهوم في بيئته الأولى:

لم يكن مفهوم تاريخ الأدب من المفاهيم المعروفة عند العرب قبل ما يعرف بعصر النهضة، إذ يكاد يجمع كل من تناول هذا المفهوم من مؤرخي الأدب العربي على أنه وافد على آداب العرب، فهو حديثٌ ليس في الثقافة العربية فحسب، بل في الثقافة الغربية أيضًا. يشير جرجي زيدان إلى وفادة هذا المفهوم وحداثته في الأدب العربي، في مستهل مقدمة كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) فيقول :" لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفًا عند الإفرنج قبل نهضتهم الأخيرة......أما العرب فالمشهور أنهم لم يؤلفوا في تاريخ لسانهم....بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم، ولم يتصد أحد للتأليف في تاريخها على النمط الحديث قبل المستشرقين.."(زيدان، ١٩٥٧م:١/ ٧) ، وتتكرّر هذه الإشارة عند كثيرين ممن ألفوا في هذا الحقل، فقد ذهبوا إلى أن الغربيين هم الذين ابتدعوا هذا النمط من التأليف. فالزيّات مثلًا ينص على ذلك في حاشية كتابه (تاريخ الأدب العربي) بقوله:" تاريخ الأدب بهذا المعنى علم حديث النشأة ابتدعه الإيطاليون في القرن الثامن عشر، وظل مجهولًا في الشرق حتى اشتدّ خِلاطه بالغرب"(الزيات، دت: ٤ الحاشية).

وقد وردت لفظتا الحديث والجديد نعتًا لهذا المفهوم مراتٍ عدة عند حسين الواد وهو من أوائل من قوّموا هذه التجربة عند العرب، في كتابه الرائد(في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج)، ومنها قوله:" فهذا العلم الجديد الذي ظهر في أوربا إبّان نهضتها الأخيرة ووفد على الفكر العربي في حاجة شديدة إلى أن يضبط منه

في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري) و(تاريخ الأدب العربي لعمر فرّوخ).أمّا أهم الكتب التي حاولت تقويم تلك الأعمال، أو التي ألّفت في الموضوع، وهي قليلة بطبيعة الحال، فمنها:(مناهج الدراسة الأدبية ، عرض ونقد وتحليل لشكري فيصل) و(الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث لمحمد عبد السلام الشاذلي) وهي في الأصل رسالة ماجستير قدمت لجامعة القاهرة عام١٩٧٢م بعنوان: الاتجاه العلمي في مناهج تاريخ الأدب الحديث حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد نشرت عام١٩٨٩م في كتاب بعنوان(الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث)، و(في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج لحسين الواد) و(مكونات تاريخ الأدب الحديث، فصل من كتاب مكونات الأدب المقارن في العالم العربي لسعيد علوش) و(العرب وتاريخ الأدب لأحمد بوحسن) والكتاب في أصله مقالات نشرت منجمة في سلسلة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس. و(مقالات في التاريخ الأدبي، مترجمًا، لأحمدالسماوي)، و(والأدب العربي بين الدلالة والتاريخ د.ت. لعدنان عبيد العلي) و(مفهوم التاريخ الأدبي لحسن الطالب).

المفهوم ويحدد له الغرض"(الواد، ١٩٩٣م: ١٠١)[٢].

وبما أن هذا المفهوم ليس عربي النشأة، فسنحاول – ابتداء- معرفة حقيقته في منبته الأصلي عند الغربيين وبخاصة في أوربا. فمتى ظهر؟ وما المقصود به؟.

تؤكد المصادر أن هذا المفهوم من ابتداع الأوربيين

(٢) أشار إلى حداثة مفهوم تاريخ الأدب وابتداع الغرب له كثيرون منهم على سبيل المثال، حفني ناصف فقد قال:"وقد وضع كثير من علماء الإفرنج للأدب في لغاتهم تواريخ مخصوصة، أفردوها بالتأليف وبعضهم أفرد لأدب اللغة العربية تاريخًا خاصًا"(تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، ص٤) وعدنان عبيد في كتابه (الأدب العربي بين الدلالة والتاريخ) ص٥٩ في قوله:" إن تاريخ الأدب علم جديد في المشرق لم يسبق إليه علماؤنا..."و أحمد السماوي في كتابه (مقالات في التاريخ الأدبي) الذي ترجم فيه عددًا من مقالات لكتاب غربيين فهو يقول:" في هذا العلم المستحدث الذي نقر جميعنا بأنه إنتاج غربي صرف"ص٨.وحسن الطالب في كتابه (مفهوم التاريخ الأدبي، مجالات التوسع وآفاق التجديد، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط/١، ٢٠٠٨م،) ص ١٥.فهو يقول :" صحيح أن مفهوم تاريخ الأدب حديث في الثقافة الغربية وهو أحدث في الثقافة العربية ". ومما يثير الاستغراب أن يوصف هذا المفهوم في كثير من المؤلفات العربية ومقررات أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية بالقديم وهو وصف يحيل إلى ما قبل العصر الحديث، بالرغم من حداثة هذا العلم، بل هو يدرّس في كثير من الأحيان، أدبًا لا تاريخ أدب ، ولعل عبارة تاريخ هي التي حرّضت على الإحالة إلى هذا النعت .

على وجه التحديد، ولكنها لا تحدد بالضبط بدايات ظهور التسمية الاصطلاحية – وإن كانت حديثة نسبيًا-، ولا يعرف، على وجه الدقة، في أي الدول الأوربية ظهر أولًا، فقد تنازعته دول منها ألمانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا.فالزيّات في نصه المذكور آنفًا يقرّر أن الإيطاليين هم الذين ابتدعوه في القرن الثامن عشر، بل يشير إلى أنّهم أول من اهتدى إلى التاريخ الحديث في أوائل القرن الخامس عشر.ولم أجد من مؤرخي الأدب العربي من أشار بالتحديد إلى الإيطاليين في ابتداع تاريخ الأدب سوى الزيّات، وهو لم يذكر مرجعه في ذلك، بل إنّ أغلب المراجع تشير إلى الأوربيين بعامّة، وأحيانًا تُفْرد الفرنسيين والألمانيين بالذكر على وجه الخصوص[٣]. بيد أن ثمّة إشارة يمكن أن تعضد ما ذهب إليه الزيّات في الكتاب القيّم الذي ترجمه حسن الطالب (ما التاريخ الأدبي؟) للكندي كليمان موازان، في سياق حديثه عن تاريخ الأدب الفرنسي على مستوى الممارسة، وعن عمل المؤرخَينِ الفرنسيين إتيان باسكييه(١٥٢٩-١٦١٥)، وكلود فوشيه(١٥٣٢-١٦٠٣)، وذلك حينما ذكر أنّهما سافرا إلى إيطاليا وتعرّفا هنالك على العلماء، وتأقلما مع

(٣) نشير على سبيل المثال إلى قول محمد حسن درويش عن تاريخ الأدب:" الألمان هم الذين صيّروه علمًا مستقلًا متمايزًا عن سائر العلوم بجهودهم التي بذلوها في هذا السبيل"(درويش: ٧).

منهجهم الصارم في التوثيق التاريخي. (موازان، ٢٠١٠م : ٩٥).

البدايات الأولى لتاريخ الأدب

يمكن -بحسب المصادر- اعتبار أول ظهور حقيقي للتسمية (تاريخ الأدب) كان في مستهل القرن التاسع عشر، في ظرف تعليميّ، هو إنشاء كليات الآداب الفرنسية عام ١٨٠٨م، فأصبحت المؤلفات التي تحمل اسم (تاريخ الأدب) من مقرراتها(موازان، ٢٠١٠م : ١١٩) [٤]. ومن الطبيعي أن يكون هذا المفهوم قد مرّ قبل تسميته هذه بمراحل من التطوّر لمؤلفات عدة وبأسماء مختلفة. فالمعروف في كثير من العلوم والمعارف أن الممارسة العملية تسبق ظهور المصطلح، وهذا ما قد نجد له مثيلًا في أدبنا العربي.

فمنذ القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، كانت المرحلة التي ينعتها كليمان موازان بالنزعة الموسوعية هي الحاضرة في المشهد، وهي تقوم على الاتجاهين البيوغرافي والببليوغرافي، وطابعها موسوعي يسعى إلى تجميع المعارف والعلوم في مؤلفات، تكون بالنسبة للأجيال مصادر في التّبحر العلمي، وتهتم بأسماء الأشخاص والكتب والوقائع، وتخلط بين البيوغرافيا والببليوغرافيا دونما إشارة منها إلى تسلسل تاريخ الأعمال والكتّاب، وغايتها تعظيم الأديب وتكريمه داخل مجتمع يستخف به، وتحمل أسماء مثل خزائن الكتب، والموسوعات والفهارس. ثم أخذت هذه الأعمال في التطوّر تدريجيًا إلى ما يسمى بجمهورية الآداب والمقتطفات والصحف الأدبية، ولم تعد تركّز على الجانب البيوغرافي، بل اتجهت إلى التركيز على الإنتاج، أي ما يعرف بمرحلة النصوص وقراءتها(موازان، ٢٠١٠م : ١١٤-١١٧) [٥]، فأصبحت هذه الممارسات في صورتها النهائية تُسمى في مستهل القرن التاسع عشر بـ(تاريخ الأدب).

المفهوم عند الغربيين:

أصبح -إذن- مفهوم تاريخ الأدب بمركبه الإضافي عند الغربيين، وبسبب التطورّ التدريجي الذي

(٤) سبق هذا التاريخ ظهور مؤلفات في ثلاثينيات القرن الثامن عشر في فرنسا، تحمل اسم تاريخ الأدب وتاريخ أدبي، مثل: (تاريخ الأدب الفرنسي) ، و(تاريخ فرنسا الأدبي) لمؤلفين أمثال:كُهّان دير سان مور، والقس غوجيه، وأندري دوشيسون،(موازان، ٢٠١٠م : ١١٥) و(بول آرول وآخرون، ٢٠٢١م : ٢٩٣).

(٥)أشار حسن الطالب، مترجم الكتاب، إلى مرحلتين مر بهما تاريخ الأدب، الأولي وينعتها بالمرحلة التقليدية تمتد من منتصف القرن السادس عشر إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر، ويمكن أن تسمى مرحلة الطابع الموسوعي ، في حين يرى كليمان موازان أنها تقف عند القرن الثامن عشر، والمرحلة الثانية -وينعتها بالمرحلة الحديثة - تمتد من الربع الأول للقرن التاسع عشر إلى الثلث الأول من القرن العشرين ويمكن أن تسمى المرحلة المناهجية في تاريخ الأدب.(الطالب، ٢٠٠٨: ٢٤)

شمل الحياة الأوربية في مختلف مجالاتها المعرفيه في القرن التاسع عشر، ومنها المجال الأدبي، يطلق على التصنيف البيبليوغرافي والبيوغرافي الذي يؤرخ لنشأة الأعمال الأدبية، ويهتم بأسماء الكتب وأسماء مؤلفيها، ونبذ من سيرهم ومقتطفات من إنتاجهم حسب التسلسل التاريخي. فهو، -كما يوصف- نسق منغلق، وتنظيم خِلوٌ من أيّ تعقيد، مكوِّناته قليل من التاريخ العام، ومن الأعمال، ومن تجميع لهذه العناصر، ثم يمرّ بمرحلة النشأة ثم الأوج ثم الانحطاط فالاضمحلال، وله غاية تعليمية تربوية (موازان، ٢٠١٠م : ٢٣٧).

ثم بدأ هذا المفهوم يشهد تحولًا مفاهيميًّا منذ بدايات القرن التاسع عشر [٦]، فأصبح أكثر الغربيين، يفرّقون فيما بعد بين تاريخ الأدب بمركبه الإضافي، والتاريخ الأدبي بمركبه النعتي، ولكل منهما دلالة تختلف في كثير من وجوهها عن دلالة الآخر، ومنهم من ينعت الأول بالتقليدي والآخر بالحديث.

ولعل أول تمييز مصطلحي، حسب كليمان موازان، كان عام ١٨٤٤م على يد الناقد الفرنسي نيزار ديزيريه(١٨٠٦-١٨٨٨)، يقول في هذا:" علينا أن نميّز بدقة بين التاريخ الأدبي لأمة من الأمم وبين تاريخ أدبها"(موازان، ٢٠١٠م : ١٦٠). ثم يشرح نيزار ما يعني بكل مفهوم منهما. فالتاريخ الأدبي – كما يرى – يبدأ مع الأمة نفسها، مع لغتها وعليه أن يشمل كل ما كتب.عليه أن يكون نوعًا من الجرد المفصَّل والأمين لكل ما قرئ ونُشر عن كل الذين حملوا القلم.إن مزيّة جرد من هذا القبيل، هي عدم إغفال أيّ أحد. و يرى أن الأمر في تاريخ الأدب خلاف ذلك تمامًا، إذ توجد مدّة محددة يبدأ فيها، وأخرى ينتهي عندها، ويمكن أن يحدد الموضوع فيها بوضوح (موازان، ٢٠١٠م : ١٣٥ و١٣٦).

وبالرغم من أقدميّة هذا التمييز؛ فإنّ أكثر المراجع الأجنبيّة تكاد تجمع على أن غوستاف لانسون (١٨٥٧-١٩٣٤) هو الأب الروحي للتاريخ الأدبي (الطالب، ٢٠٠٨م:١٢٦) ، وهو مَن ميّز بين المفهومين، وبدأ ما يمكن أن تُسمّى المرحلة المناهجيّة، وذلك بعد مقاله الشهير (منهج التاريخ الأدبي) الذي كتبه عام ١٩٠٤م، وترجمه إلى العربية محمد مندور عام ١٩٤٨م. فلانسون يرى أن يُستبدل التاريخ الأدبي بتاريخ الأدب بمفهومه الموسوعي السابق. يقول :"قد يكون بوسعنا أن نكتب إلى جانب (تاريخ الأدب الفرنسي) هذا أي الإنتاج الأدبي الذي لنا عنه نسخ كافية، تاريخ فرنسا الأدبي الذي ينقصنا....وما أقصده

---

(٦)يرى محمد غنيمي هلال أن للحركة الرومانسية التي نشأت أواخر القرن الثامن عشر الفضل في هذا التحول المفاهيمي في تاريخ الأدب.(هلال، ١٩٨٣م:٢٤) ص٤٢.كما يعد حسن الطالب العصر الرومانسي الحقبة الحقيقية لولادة التاريخ الأدبي.(موازان، دت: ١٥٠).وقد وردت قبل ذلك إشارة بروكلمان إلى هذا في مقدمة كتابه(تاريخ الأدب العربي).

بذلك إنّما هو لوحة الحياة الأدبية لدى الأمة، وتاريخ الثقافة، ونشاط الجماعة الغامضة(٧) التي كانت تقرأ تمامًا مثلما أعني الأشخاص المشاهير الذين كانوا يكتبون" (السماوي، ٢٠٠٣م:٤٢). وعليه فإنّ التّاريخ الأدبي - بحسب لانسون - هو الذي يهتم بالوثائق والمخطوطات وتحقيقها، وبمعرفة النصوص الأدبية، وتجميعها في أنواع ومدارس وحركات، ومعرفة ظروف الإنتاج وسياقاته، والجماهير القارئة، وجمالية الشكل والذوق، ومعرفة علاقة الأعمال الأدبية بالحياة الثقافية والأخلاقية للبلد وحضارته(موزان، ٢٠١٠م:٦٧، والسماوي، ٢٠٠٣م :٤٢، والطالب، ٢٠٠٨م :٢٤).

وأصبحت الإشارات فيما بعد إلى التمييز بين المفهومين حاضرةً في جُلّ كتابات الغربيين عن هذا الموضوع. ولعل من ذلك التمييز- المبكر نسبيًّا- قول المستشرق الألماني كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦)، وهو نصٌّ نفيسٌ في مقدمة كتابه الشهير (تاريخ الأدب العربي) الذي ترجمه إلى العربية عبد الحليم النجار، يميّز فيه بين المفهومين مشيرًا إلى أن تحوّل المفهوم من تاريخ أدب إلى التاريخ الأدبي ينمو باطِّراد في ألمانيا تبعًا لنمو الأدب؛ بسبب تأثير الحركة الرومانتيكية. بل هو يشير صراحة إلى أن عمله في كتابه هو تاريخ أدب، لا تاريخًا أدبيًا، وعليه أن يقتصر على إعداد الموادّ المطلوبة- لمثل ذلك البحث أيّ التاريخ الأدبي- من تراجم وأخبار الكتب، وأن يعبِّد الطريق -على هذا النحو- للتعرّف على بواطن حياة الأدب العربي في المستقبل، ويرى أن الحالة الراهنة للعلم اللغوي العربي لا تسمح بكتابة تاريخ الأدب العربي بالمعنى الحديث في علم الأدب. وعلّق على هذا في حاشية مقدمته بقوله:" إذن ينبغي أن يكون ذلك تاريخًا أدبيًا لا تاريخًا للأدب بالمعنى الذي قصد إليه برونتيير ونيزار" (بروكلمان، د ت :٧)(٨). **إنه** يدرك تمامًا أنه يشتغل بعلم مغاير لمفهوم جديد يُسمى تاريخًا أدبيًا، يتعامل مع الظاهرة الأدبية بطريقة مختلفة عما يشتغل به هو في إطار تاريخ الأدب.

والواقع أن ليس كل المستشرقين الذين اشتغلوا بتاريخ الأدب العربي أظهروا مثل هذا الفهم والتمييز في التسمية بين المصطلحين، فالمستشرق الإيطالي كارلو نالينو (١٨٧٢-١٩٣٨) أستاذ طه حسين حينما أراد تعريف تاريخ الأدب في كتابه (تاريخ الآداب العربية١٩٧٠م)، فرّق بين المعنيين الخاص والعام للأدب، ثم اكتفى بتعريف حفني بك ناصف، الذي

---

(٧) الترجمة بكلمة الغامضة هنا ليست دقيقة إذ يفهم من السياق أنها المغمورة.

(٨)يمكن أن يُستنتج من رؤية بروكلمان هذه وعيه العميق بمعنى المفهومين تاريخ الأدب والتاريخ الأدبي، وأن الألمان من أوائل الغربيين تداولًا لهذا المفهوم وتطويره، وأن الحركة الرومانسية هي المحرّك الذي أسهم في إنتاج هذا التحول الجديد لتاريخ الأدب.

سنورده في ثنايا هذا البحث. والمستشرق الفرنسي بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٣) في كتابه (تاريخ الأدب العربي ١٩٧٣م) الذي ترجمه إلى العربية إبراهيم الكيلاني لم يقف عند تعريف تاريخ الأدب أصلًا، وإنّما ذهب يعلّل الطريقة التي سيأخذ بها في التأريخ للأدب العربي. ويقول جيرار جنيت:" يجب أولًا وقبل كل شيء التمييز بين كثير من الاختصاصات الموجودة والمفترضة والتي نخلط بينها في الغالب الأعم عندما نطلق عليها تسمية موحّدة هي التاريخ الأدبي أو تاريخ الأدب" (السماوي، ٢٠٠٣م : ٤٢). ويرى أن يُطّرح تاريخ الأدب كما يمارس في مستوى التعليم الثانوي.أما الصنف الثاني الذي يستخرج تمامًا هو ما كان لانسون يدعو إليه، ويقترح له اسم التاريخ الأدبي، لا اسم تاريخ الأدب، وفيه يتعلّق الأمر بتاريخ الظروف والشروط والانعكاسات الاجتماعية التي للحدث الأدبي (السماوي، ٢٠٠٣م : ٤٢). ويظهر ذلك التمييز في قول جاك سيلار:" ...يمكننا القول بأنّ ما يقترحه علينا الكتّاب ليس من التاريخ الأدبي في شيء، ولا هو من تاريخ الأدب أيضًا.." (موزان، ٢٠١٠م :١٧١)، ويبدو أكثر تفصيلًا عند لوران ميلهو في قوله: " إنه يتعين علينا بهدف الفصل في مسألة تحديد البذور الجينية للتاريخ الأدبي، التمييز بين وظيفته وبين تاريخ الأدب، فلئن كان التاريخ الأدبي يُعنى بالنصوص الأدبية وسياقها، بما هو غائب وحاضر، بالفضاء والزمن، فإن تاريخ الأدب يُعنى بالأعمال الأدبية وحسب، أي بنصوصها وتناصها وبالكتّاب" (الطالب، ٢٠٠٨م :٢٢). ولم تبعد آن مورال عن ذلك تمييز في كتابها (النقد التاريخي) في الفصل الذي عنوانه: (تاريخ أدبي أم تاريخ أدب)، فتقول:" غالبًا ما يقع الخلط بين التاريخ الأدبي وتاريخ الأدب؛ إذ تطلق عليهما تسمية واحدة أو لا مبالية؛ لأن لهما الموضوع نفسه، وهو تاريخ الماضي، وعلى الرغم من ذلك فإن بينهما فوارق مبدئية، وينبغي وصفها. فتاريخ الأدب هو ذاكرة الماضي، فهو ينشغل أساسًا بإنقاذ الآثار من النسيان، ويذكّر بها ، ويحافظ عليها ويرتبها، أما التاريخ الأدبي فيطمح إلى ما هو أبعد، فهو يبغي فهم الحياة الأدبية وتفسيرها في التاريخ، وهو يبحث عن تحليل لنشوئية الآثار، وحديثًا جدًا لتقبلها بإدارجه إيّاها في سلسلة أسباب تاريخية واجتماعية وسياسية وثقافية دالّة" (السماوي، ٢٠٠٣م :١٣٥). ويشدّد كليمان موزان على هذا التمييز مشيرًا إلى أنّه أصبح أمرًا بديهيًا بقوله:" التاريخ الأدبي غير تاريخ الأدب، ولئن كان هذا الإثبات بديهيًا، فإنه يبدو من الضروري تبيان وجاهته" (موزان، ٢٠١٠م :١٣٥).

من هنا يظهر مدى استيعاب أكثر الغربيين وبخاصة الأوربيين للمفهوم، ووعيهم بمعناه بحسب مركبيه الإضافي والنعتي. ولقد واكبتْ تحوّلَ المفهوم إلى المركب النعتي -منذ اقتراح لانسون- حركةٌ من

النّقد والقراءة والتحليل والتأويل، وأخرى من الجدل والنقاش، في المجلّات والمؤتمرات والندوات، واستأثر الموضوع باهتمام كبير من الباحثين الغربيين، نتجتْ عنه تحولاتٌ جديدة للتاريخ الأدبي اللانسوني(٩)، وقد أصبح يُعدُّ تقليديًا بالنظر إلى النقد الجديد، والنظريات والمناهج الأدبية الحديثة، كالشكلانية، والبنيوية، ونظرية التلقي، ونظرية تعدد الأنساق (مفتاح، ١٩٩٩م :١٤٦) ، فكل هذه الاتجاهات - على تفاوت ما بينها في النظر إلى الموضوع، وطرح بدائل له – قد وجّهتْ نقدًا لتاريخ الأدب، والتاريخ الأدبي. ولعل الشكلانيين الروس من أوائل من وجهوا نقدهم إلى تاريخ الأدب ووصفوه بالتاريخانية البدائية، ونادوا بوضع أسس جديدة لتاريخ أدبي جديد، يقوم على فهمهم للأدب باعتباره وظيفة جمالية لغوية في المقام الأول (موازان، ٢٠١٠م :٧٢ والطالب، ٢٠٠٨م، ٥٢). وهم يركِّزون على دراسة التّطور الأدبي، وعلى أن موضوع التاريخ الأدبي ينبغي أن يقوم على دراسة تغيّرية الأعمال الأدبية لا على تكوّنها، ويُعنى، بما يتنوّع ويتغيّر داخل الخطاب الأدبي، وهو -من وجهة نظرهم- الأشكال الأدبية. هذا ما دعا إليه تينيانوف أحد أبرز منظريهم (الطالب، ٢٠٠٨م :٧٥). أمّا البنيويون -وبخاصة رولان بارت وجيرار جنيت – فقد حاولوا توجيه مسار التصوّر اللانسوني للتاريخ الأدبي، إلى تاريخ أدبي جديد، يقوم على الشعريّة البنيويّة. فبحسب جنيت، التواريخ الأدبية أنواع ثلاثة، الأول منها هو تاريخ الأدب الذي يمارس في التعليم الثانوي ويُؤدّي وظيفة تعليمية. وهو يقوم على سلسلة من الدراسات الأحادية من الأعمال والأعلام المنظّمة في تسلسل زمني، إلا أنها ليست من نمط تاريخي. والنوع الثاني هو ما يسميه لانسون التاريخ الأدبي، وهو يتعلق بتاريخ الظروف والسياقات المختلفة المحيطة بالنتاج الأدبي، ويَنْعَى جنيت على هذا النوع عدم تحققه كما أراد له لانسون، ويرى أن ما يُدعى اليوم تاريخًا أدبيًا متوقف عدا بعض الاستثناءات عند الأخبار الفردية وسِيَر الكتّاب، وعائلاتهم وأصدقائهم ومعارفهم، في حدود مستوى نوادري وحدثي طلّقه التاريخ العام منذ ثلاثين سنة (السماوي، ٢٠٠٣م : ٤٢ والطالب، ٢٠٠٨م: ٨١،

---

(٩) ذكر أحمد بوحسن أن المؤتمر الدولي الأول الذي عقد لتاريخ الأدب وظهرت فيه بداية التحولات الجديدة انعقد في بودابست سنة ١٩٣١م، (كتابة التواريخ ص ١٤٥)، كما أشار كليمان موازان إلى كثرة تداول التاريخ الأدبي منذ سنوات في الأوساط الغربية، حيث أصبح موضوع دراسات وتحليلات وملتقيات وندوات وأعداد خاصة لمجلات ودوريات تناولته من زوايا متعددة، ويستغرب حسن الطالب من أن أي جامعة أو مؤسسة على مستوى الوطن العربي لم تفرد للموضوع ندوة أو ملتقى؛ بالرغم من كثرة المؤلفات العربية التي تناولته وهو أمر مثار استغراب حقًا.(موازان، ٢٠١٠م :٦٦الحاشية).

٨٢، ٨٣). أما النوع الثالث، وهو الذي يدعو إليه، هو تاريخ الأعمال الأدبية نفسها، تاريخ أدبي جديد، تاريخ للأدب بما هو أدب، وليس تاريخًا للظروف الخارجية، أوتاريخ الإنتاج والاستهلاك الأدبيين (والطالب، ٢٠٠٨م: ٨٢). وهذا التصوّر الأخير نابع في مُجمله عند التحقق من تصور الشكلانيين الروس للظاهرة الأدبية .ثم جاء ياوس- صاحب نظرية التلقي- فدعا في سياق ردّه على من قالوا بلا زمنية الأعمال الفنيّة إلى تاريخ أدبي جديد. يرى ياوس أن التّجربة الجمالية وتاريخها يجب أخذهما بعين الاعتبار، وأنه يمكن أن نقوم بكتابة تاريخ أدبي لهذه التّلقيات ، فهو يعدُّ تاريخية التجربة الجمالية حجر الزاوية في كتابة تاريخ أدبي جديد (مفتاح، ١٩٩٩م:١٣٥). وبناء على تلك التصورات النظرية عده بعضهم مذهبًا له مهمة علمية تتوخى تبيان الأحداث وفهمها، بالنظر إلى التغيير الذي طرأ خلال العصور، على الممارسات الكتابية، الفردية والجماعيةمن زوايا ثلاث هي: إنتاج النصوص، وتقعيدها، وتلقيها. (بول آرون، ٢٠١٢م:٢٩٢) ثم جاءت نظرية تعدد الأنساق التي ستدمج التاريخ الأدبي في إطار نسق اجتماعي عام، بحيث ينظر إلى الأنساق التي تعمل في الظاهرة لتحولها إلى ظاهرة أدبية، من إنتاج ونشر وتداول...إلخ.

إذن لم يبق السؤال في حدود ماذا يعني النص الأدبي؟، لكنه اتجه إلى الأنساق كيف تُخلق ؟ وكيف تُقنن الظاهرة الأدبية في إطار النسق الاجتماعي؟ (مفتاح، ١٩٩٩م:١٣٥). غير أن ما يؤخذ على هذه التصورات الجديدة التي تطرح بوصفها بدائل للتاريخ الأدبي، إنما هو توقّفها عند المستوى التنظيري البحت، أو بالأدق لم يكن مستوى الإنجاز التطبيقي لها على مستوى الإنجاز التنظيري[١٠] ، بل إن التساؤل عن مدى إمكانية تطبيقها بتلك الكيفيات التنظيرية من شأنه أن يزداد اتساعًا. ويُرجع بعض الباحثين السبب في هذا إلى اللبس الشديد في تحديد موضوع التاريخ الأدبي نفسه، فعدم تحديد موضوعه يجعل التحوّل من التنظير إلى التطبيق صعبًا إن لم يكن مستحيلًا (السماوي، ٢٠٠٣م: ١٣). يضاف إلى ذلك ما ذكره لانسون من أن كتابة التاريخ الأدبي عمل يفوق حدود الجهود الفردية (موازان، ٢٠١٠م:٢٩٧).

انتقال المفهوم إلى الأدب العربي:

ينبغي أن نستحضر -ابتداء- أن هذا الموضوع يدخل في حقل معرفي هو هجرة الأفكار أو انتقال النظريات والمفاهيم بين الثقافات، أو ربما الدراسات المقارنة، فالمفهوم"...نتاج تجربة، ونتاج تاريخ هذه التجربة، هو تراكم تجارب، وقراءات متعددة، وكل تعامل مع مفهوم ما، أو محاولة نقله من حقل إلى آخر،

(١٠) ذكر حسن الطالب في ترجمته لـ(ما التاريخ الأدبي؟) لكليمان موازان، أن ثمة دراسة إيطالية أنجزتْ لتاريخ الأدب الإيطالي وفق نظرية الأنساق.

أو من ثقافة إلى أخرى، لابد أن تراعى فيه هذه التجربة التاريخية؛ لأنها تجربة مفتوحة وليست تجربة منغلقة، مادامت تجربة طبيعية تخص الفعل الإنساني في النهاية" (بوحسن، ٢٠٠٣م :٢٠). وحتى لا نحمِّل مدوّنة مؤرخي الأدب العربي ما لا تحتمل، ينبغي – قبل كل شيء- أن نضعها في سياقها التاريخي، فربما قد نُقل المفهوم إلى فضاء التداول العربي، قبل أن يستوي على سوقه، أو بعد أن أُشبع دراسة ونقدًا وتحليلًا، وهو في مراحله الأخيرة في موطنه الأصلي.فقد عرفنا – من قبل- أن مفهوم تاريخ الأدب قد ظهر في مستهل القرن التاسع عشر في مجال غربي يختلف في أوجه الحياة كافة عن المجال العربي، مجال له مؤسسات علمية أكاديمية وإعلامية، ومراكز بحوث تتابع كل منتج فكري وإبداعي، وتَعْرِضُه للتداول والمناقشات.وما كان تاريخ الأدب أو التاريخ الأدبي بأقل شأنًا من المجالات الأخرى، فقد تداولته نظريات واتجاهات، وعقدتْ الندوات والملتقيات، لمناقشة قضاياه وإشكالاته، وصدرت مجلات بأعداد خاصة به، بل أُلِّفتْ كتبٌ تُؤرّخ له أيضًا (١١) في حين لم نجد ما يمكن أن يقارب هذا العمل المؤسسي عند العرب؛ وبخاصّة في مطلع القرن العشرين، الذي شهد انتقال مفاهيم وتجارب نظرية وعلمية من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية في مجالات شتى، من بينها مناهج النقد الحديثة.وما مفهوم تاريخ الأدب إلا حلقة من هذه السلسلة.إذن نحن أمام انتقال تصوّر معرفي نظري بل تطبيقي، من فضاء أوربي إلى فضاء عربي، نتغيّا من خلاله كيفية استقباله، وتداوله، من حيث الفهم والاشتغال، في مدوّنة ضخمة يمكن أن نقسِّمها إلى مرحلتين.الأولى منهما يمكن أن نسميها المرحلة التأسيسية، وتبدأ من ظهور عمل جرجي زيدان، عام ١٨٩٤م والمرحلة الثانية، وهي التي نسميها المرحلة التقويمية، تبدأ من ظهور عمل شكري فيصل، عام ١٩٧٣م، و تندرج إلى حدٍ ما في حقل نقد النقد، أو تاريخ تاريخ الأدب. ولا يَعني ظهور هذه المرحلة أن

(١١) منها على سبيل المثال، المجلة الأمريكية الصادرة عام ١٩٦٩م بعنوان:(مجلة التاريخ الأدبي الجديد)، ومن الندوات على سبيل المثال: ندوة بعنوان: (الاتجاهات الجديدة في التاريخ الأدبي) عام١٩٧٤م، وندوة بعنوان: (التاريخ الأدبي: نظريات ، مناهج ، تطبيقات) عام١٩٨٩م، وأخرى في ١٩٩٥م بعنوان:(التاريخ الأدبي= اليوم)، وقد أشرنا من قبل إلى استغراب بعض الباحثين من عدم إقامة أي ندوة أو ملتقى على مستوى الوطن العربي عن هذا الموضوع. أما الكتب التي أرّخت لتاريخ الأدب فمنها كتاب (تاريخ تاريخ الأدب) ١٩٥٨م لروبير أسكاربيت، وكتاب (في أصول التاريخ الأدبي) ١٩٧٣م لكلود كريستين، ومن الكتب المبكرة نسبيًا التي نظّرت لتاريخ الأدب، كتاب رينيه ويليك (نظرية تاريخ الأدب)١٩٣٦م.في حين لم نعثر -في حدود اطلاعنا- على أي مؤَّلف عربي يؤرخ لتاريخ الأدب العربي على غرار كتاب روبير أسكاربيت، أو يُنظّر له على غرار كتاب رينيه ويليك.

التأليف عند أصحاب المرحلة الأولى قد توقف، بل هو قد استمر إلى عقود متأخرة من العصر الحديث، ولكنه بدأ تدريجيًا في الانحسار والاضمحلال والانتقال من التأليف العام إلى الاقتصار على مناهج التعليم الثانوي، والانكفاء على الإقليمية، فأصبح لكل بلد عربي تاريخ أدبٍ خاص به، ولم يصمد على المستوى العربي تقريبًا إلا سلسلة شوقي ضيف الشهيرة.

وقد كان زمن تعرّف العرب على مفهوم تاريخ الأدب مبكرًا نسبيًا، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر، حيث اتصلوا بالمفهوم اتصالا مباشرًا، فبعض مؤرخي الأدب العربي كان على اتصال بالغربيين عن طريق السفر إلى بلادهم، والاطّلاع على مؤلفاتهم، كما هي الحال مع جرجي زيدان، وحسن توفيق العدل الذي درّس في ألمانيا، واطّلع على طريقتهم في التأليف، ثم نقلها إلى مصر، أو الاتّصال غير المباشر، وتعد الترجمة(١٢) من أهم القنوات التي نُقل المفهومُ من خلالها، فمؤرخو الأدب العربي، -كما أسلفنا- يتفقون على أن المستشرقين هم أول من ألّف في تاريخ الأدب العربي(١٣).بحسب كارل بروكلمان فإن المستشرق النمساوي جوزيف هامر برجشتال (١٧٧٤-١٨٥٦) هو أول من قام بهذه المحاولة عام ١٨٥٠م في فينّا، بكتابه(تاريخ الأدب العربي إلى القرن الثاني عشر) في سبعة أجزاء، إلا أنّه لم يترجم إلى العربية(١٤).

---

(١٢) تعد الترجمة في هذا الحقل، قليلة جدًا منذ ترجمة عبد الحليم النجار، لكتاب كارل بروكلمان (تاريخ الأدب العربي)، حتى وقتنا الراهن.ومن التراجم القيّمة ترجمة محمد مندور لمقال لانسون الشهير(منهج التاريخ الأدبي)، والعدد الخاص(ع١، ١٩٨٣م) من المجلة العراقية (مجلة الثقافة الأجنبية) الذي يضم مقالات مترجمة عن الموضوع، و المقال الذي ترجمه أحمد بوحسن لشميدت الألماني، ومقالات لعدد من الغربيين ترجمها وجمعها أحمد السماوي في كتاب، ثم= =الترجمة القيّمة التي قام بها حسن الطالب لكتاب الكندي كليمان موازان (ما التاريخ الأدبي؟)، وهي من أضخم التراجم، وأهمها على المستوى النظري إلى الآن.

(١٣) يقتصر بحثنا هنا على مؤرخي الأدب العربي من العرب، أما المستشرقون فإنهم، وإن كانوا أصحاب السبق في التأليف في هذا الحقل، يعدون من جملة الغربيين الذين عُرِفَ المفهوم في بيئتهم أصلًا.

(١٤)بالرغم من أسبقيّة هذا الكتاب، وضخامته وقيمته في السياق التاريخي لتاريخ الأدب العربي على الأقل، إلا أنه لم يترجم إلى العربية -في حدود علمنا - إلى الآن، وأظن أن ما دفع الكثيرين إلى الإحجام عن ترجمته هو تقليل بروكلمان من قيمته، معلّلًا ذلك بأن أهم مصادر الأدب العربي لم تكن معروفة في زمنه ، وأنّ مؤلفه لم يكن على علم كاف بالعربية، (بروكلمن، د ت:٣٢٣٢)، والغريب أن كثيرين ممن كتبوا في تاريخ الأدب فيما بعد أخذوا يرددون نقد بروكلمان هذا، دونما تثبّت، حتى إنّ بعضهم لا يحيل إلى مصدره، في حين أثنى على مؤلفه الأب لويس شيخو ثناء عاطرًا في قوله :" كانت له قريحة عجيبة في تعلّم اللغات وأنه يتكلم العربية وعشر لغات وألّف عددا لا يحصى من الكتب والمقالات منها كتابه تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلدات =

ولعل أول ما يلفت الناظر في مدوّنة مؤرخي الأدب العربي هو تدني مستوى حضور المفهوم فيها، فأكثرهم ينصرفون إلى مناقشة المناهج والاهتمام بها والوقوف عندها طويلًا، على حساب المفهوم(١٥). فهم لا يكادون يقفون عند المفهوم إلا لمامًا ، يعرّفونه في أسطر قليلة، لا تتجاوز أحيانًا ربع صفحة ، ثم ينصرفون إلى المنهج أو الطريقة التي سيتخذونها، في التحقيب للأدب. ومن هؤلاء، محمد بك دياب ت١٩٠٠م، وحسن توفيق العدل ت١٩٠٤م، وجرجي زيدان ت١٩١٤م، وحفني بك ناصف ت١٩١٩م وأحمد الإسكندري ت١٩٣٨م، وأحمد الزيات ت١٩٦٨م، وعمر فرّوخ ت١٩٨٧م، وشوقي ضيف ت٢٠٠٥م، وحنا الفاخوري ت٢٠١١م. بل إن منهم من لم يكترث به، كما في عمل الرافعي ت ١٩٣٧م، ويمكن أن يُستثنى من ذلك طه حسين ت١٩٧٣م، فهو قد وقف عند المفهوم، وناقشه من وجوه مختلفة، بل إن استعراضًا لعنوانات كتب أصحاب المرحلة التقويمية تُعزِّز ما ذهبنا إليه، فشكري فيصل ت١٩٨٥م، مثلًا يُعنْون كتابه بـ(مناهج الدراسة الأدبية) ولم يذكر المفاهيم، ومثله الشاذلي فقد عنون رسالته بـ (الاتجاه العلمي في مناهج تاريخ الأدب الحديث). وحسين الواد يجعل العنوان مناصفة بين المفاهيم والمناهج (في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج)، ولكنه يمنح المناهج النصيب الأكبر من كتابه. ومحمد الكتاني سمّى بحثه (نظرات في مناهج التاريخ الأدبي)، ونشره في مجلة كلية الآداب بجامعة سيدى محمد بن عبد الله بفاس عام ١٩٧٨م. أما أحمد بو حسن فقد ركّز جُلّ أبحاثه حول المفهوم وإشكالاته، وإن كان اهتمامه مركّزًا على المدوّنة القديمة للأدب العربي، متخذًا من كتاب الأغاني أنموذجًا لها، وذلك في كتابه (العرب وتاريخ الأدب).ولم يخرج عن هذا أحمد السماوي في المقدمة القيّمة التي صدّر بها المقالات الأجنبية التي ترجمها، وحسن الطالب، في كتابه (مفهوم التاريخ الأدبي) وإن كانا يتحدثان عن إشكالات المفهوم

=ضخمة من عهد الجاهلية إلى آخر الدولة العباسية ضمّنه عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم " (شيخو، ١٩٩١م:١٢٢).وقال عنه الزركلي في الأعلام نحوًا من ذلك (الزركلي، ١٩٩٧م: ٨/ ٢٢٣).

(١٥) ذكر حسين الواد في الأعمال التي أقام عليها دراسته الرائدة في تاريخ الأدب، وهي أربعة فقط؛ ولكنها من أهم الأعمال الرائدة في تلك الحقبة، أن زيدان والزيات وطه حسين أطالوا الوقوف عند المفهوم وأهمله الرافعي، والواقع أن زيدان والزيّات لم يطيلا مناقشة المفهوم ، وإنما اكتفيا بالتعريف به وذِكْر الغرض والفائدة منه، في أقل من صفحة واحدة ، أما طه حسين فصحيح ، وقد احترز الواد بقوله: أحيانا، بيد أنّه قد قال في أول مبحث هذه النقطة:"كان من المنتظر أن يولي المؤلفون العرب تاريخ الأدب عناية بارزة في أعمالهم "(الواد، ١٩٩٣م: ١٠١)، ولكن الرافعي وإن أغفل التعريف بالمفهوم؛ فإنه قد أطال في نقاشه ونقده.

بشكل عام، دون التطرّق إليه في مدوّنة مؤرخي الأدب العربي.

ولعل من أهم الأسباب التي أدّت إلى انكباب مؤرخي الأدب العربي على المناهج في تلك الحقبة – بحسب حسين الواد- "انبهار الأجيال التي سبقتنا بمنهجية تأريخ الأدب" (الواد، ١٤٣١هـ :١٧٣). وقد يرجع ذلك إلى أن القيمة العلمية لتاريخ الأدب -على حد قول شميدت-إنما تكمن في المظهر الإجرائي، أي المناهج المستعملة في البحث في تاريخ الأدب" (مفتاح، ١٩٩٩م :١٥٢).

ومما يُلحظ في هذا وقوف بعض مؤرخي الأدب العربي عند أوليّة نقل المفهوم إلى العربية، واتخاذها طابعًا سجاليًا غير معلن، بالرغم من ضآلة أهميتها، وهو ممّا دعا سعيد علوش إلى أن يراها علامة على جهل الدرس العربي في تلك الحقبة؛ لتقليد يهتم بالتسمية (علوش، ١٩٨٧م:٣٥٦). فالمصريون يرون أن أول من نقل هذا المفهوم إلى العربية هو حسن توفيق العدل. ويقول الزيّات في معرض حديثه عن أن تاريخ الأدب لم يكن معروفًا في الشرق إن:" أول من نقله إليه المغفور له الأستاذ حسن توفيق العدل على إثر عودته من ألمانيا وقيامه بتدريسه في دار العلوم"(الزيات، د ت :٤ الحاشية). ويؤكد هذا السباعي بيومي بقوله:" الأستاذ حسن توفيق، الذي عبَّد الطريق فسلكه من بعده السّالكون، أمثال العلامة جرجي زيدان..." (السباعي، ١٩٥٩م :١٢). ويرى شكري فيصل أن العدل هو" أول الذين عُنوا بالتاريخ الأدبي في صورته الجديدة، وأنه هو الذي صاغ نظرية تقسيم العصور" (فيصل، ١٩٨٢م :٢٠) ، في حين يصرّح جرجي زيدان بأنّه أول من نقله إلى العربية إذ يقول في مقدمة كتابه:" أما في العربية فلعلنا أول من فعل ذلك ونحن أول من سمّى هذا العلم بهذا الاسم "تاريخ آداب اللغة العربية" فنشرنا منه فصولًا صدر أولها منه سنة ١٨٩٤م في عدد الهلال التاسع من السنة الثانية، وآخرها في أواخر السنة الثالثة، وقد انتهينا فيه إلى تاريخ آدابها في عصر الانحطاط، ثم شغلنا عن إتمامه، وواعدنا القراء بالعود إلى هذا الموضوع، على أن نفرد له كتابًا خاصًا، مع التوسع والتدقيق، فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شارة إلا قيدناها، ولا ملاحظة إلا حفظناها وتدبرناها، والقراء يطالبوننا به، فأعلنا أخيرًا عزمنا على القيام بوعدنا وها نحن فاعلون" (زيدان، ١٩٥٧م :٨).ثم صدر كتابه عام ١٩١١م، أي بعد ما نشر مقالاته في مجلة الهلال بثمان عشرة سنة.ويظهر من قول زيدان أن حافزه على التأليف في هذا المجال أنه رأى مؤلفات للغربيين، ليس للعرب مثلها.أما ما دفعه إلى إصدار مقالاته تلك في كتاب، فأمران ظاهر ومضمر، الظاهر منهما ما صرّح به هو، من وعده للقراء تلبية لطلباتهم، وأما المضمر- بحسب المراجع- فإنه بسبب إعلان الجامعة المصرية

١٩٠٩م عن جائزة لمن يؤلف كتابًا في (أدبيات اللغة العربية) خلال سنتين. وذلك بعد المقال الذي نشره الرافعي حاملًا فيه على الجامعة وأساتذتها في تدريس الأدب.ثم شرع في تأليف كتابه في منتصف العام وصدر عام ١٩١١م، وهو ما قام به جرجي زيدان الذي سبقه بطباعة كتابه بشهر أو شهرين (الرافعي، ١٩٧٤م :١/ ٨). ويبدو أن كتاب جرجي زيدان هو الذى نال جائزة الجامعة، أما الرافعي فلم يتقدم لها بكتابه -بحسب المراجع- ترفّعًا عن قبول الحكم فيه لجماعة ليس منهم من هو أبصر منه بالمحكوم فيه (الرافعي، ١٩٧٤م :١/ ٨).

وإذا أردنا تحقيق الأوليّة في نقل مفهوم تاريخ الأدب إلى العربية بحسب التواريخ وجدنا أن بروكلمان حينما تحدّث عن مصادر تاريخ الأدب والكتب السابقة إلى تناوله، ذكر قائمة بعد أن انتهى من المستشرقين بدأها بعمل إدوارد فانديك وفيليبيدس قسطنطين [(١٦)] ، بعنوان (تاريخ العرب وآدابهم)عام ١٨٩٢م، وكأنّه يعدهما من العرب بقوله:" وقد ألف في زماننا هذا كثير من أهل مصر والشام والعراق..." (بروكلمان، دت:٣٣) وقد جعلهما على رأس القائمة، في حين أدرجهما سعيد علوش في قائمة المستشرقين (علوش، ١٩٨٧م:٣٦٧) ، وقد أثنى على عملهما جرجي زيدان نفسه، منوِّهًا بأنّهما أول من طرق باب التأليف في تاريخ آداب العرب (الواد، ١٩٩٣م:٢٨). وقد جاء الرافعي ثانيًا في قائمة بروكلمان بذكر طبعتين لكتابه، الأولى عام١٨٩٣م، والثانية عام١٩١١م، وهو وهمٌ منه بلا شك، حيث نصَّ محمد سعيد العريان في تصديره لكتاب الرافعي، على أنّ طبعته الأولى كانت عام١٩١١م (الرافعي، ١٩٧٤م:١/ ٨)[(١٧)]. ومن الإصدارات المبكرة التي أوردها بروكلمان كتاب محمد بك دياب في جزأين، طبع عام ١٨٩٩م، ولم يرد كتاب حسن توفيق العدل، في تلك القائمة، وهو قد طُبع للمرة الأولى عام ١٩٠٦م، بعد وفاته عام١٩٠٤م.والغريب أن صاحب كتاب (أعلام الأدب المعاصر في مصر) يذكر أن كتاب العدل طبع عدة مرات كان آخرها سنة ١ (السكوت، ١٩٧٥م:١٩)٩٠٦م [(١٨)] ، وهو غير صحيح، فهو

---

(١٦) لم أعثر لهما على ترجمة فيما اطلعت عليه من مراجع.

(١٧)هذا ما دعا عدنان عبيد العلي، إلى الجزم بتقديم عمل الرافعي على كتاب زيدان، مستندًا إلى هذا الوهم، (العلي، د ت:٦٩).

(١٨)يظهر أن الكتب التي سبقت كتابي زيدان والرافعي، كانت في أصلها محاضرات كتبها أصحابها لطلابهم في الجامعة وتداولها الطلاب على شكل مذكرات قبل أن تصدر كتبًا، يؤكد ذلك ما ذكره العريان في تصديره لكتاب الرافعي، من أن تلك الكتب مذكرات كتبها معلمو المدارس على منهج خاص يحدده منهج التعليم، ينظر: (الرافعي، ١٩٧٤م:١/ ٦)، ويعضد هذا قول شكري فيصل :" لم أتبيّن فيما وقع في يدي من مذكرات الأستاذ حسن توفيق

بحسب المراجع قد فرغ منه بخط يده عام١٩٠٢م، وطبع طبعته الأولى كما أسلفنا (العدل، ٢٠٠٢م:٢٥).

إذن إذا أخذنا في الاعتبار أن كتاب (تاريخ العرب وآدابهم) المطبوع في ١٨٩٢م لمؤلفينِ من العرب، فهما صاحبا الأسبقيّة، أما إذا كانا غير عربيينِ كما يظهر من اسميهما، على أن العرب النصارى يسمون بمثل هذه الأسماء، وكان النشر فقط، هو المعتبر، فجرجي زيدان هو صاحب الأسبقيّة، إذ قد نشر فصولًا من كتابه في مجلة الهلال عام ١٨٩٤م. وأما إذا كان المعتبر، هو النشر في كتاب مطبوع فحسب، فالسابق هو محمد بك دياب، إذ قد نشر كتابه في طبعته الأولى عام ١٨٩٩م.ومع ذلك فإن المؤلفُ يُظهر تواضعًا، في عدم نسبة الأسبقيّة لنفسه في هذا الباب. يقول عند حديثه عن سبب تأليفه لكتابه:" فقد أخبرني فيما سلف صديق يعرف الألمانية أن مستشرقي الألمان عنوا بتاريخ آداب لغتنا العربية، فلاح بخاطري أن أشق عباب هذا الموضوع، ولا أطري هذا المؤلَّف بأنه جليل، أو مفيد، أولم ينسج على منواله، أو أول كتاب في بابه، إلى غير ذلك من الدعاوى الواسعة، بل الحكم في هذا موكول إلى المطالعين" (دياب، ١٩٠٠م:المقدمة). ويبدو أن كتابه لم ينتشر، بالرغم من أنه صدرتْ له طبعة ثانية في العام ١٩٠٠م وهو التالي لطبعته الأولى، كما يبدو أن بعض مؤرخي الأدب العربي، غير معترفين، أو على الأقل غير مقتنعين بنسبة زيدان الأوليّة لنفسه في هذا المجال؛ في حين يراه بعضهم رائدًا لتاريخ الأدب العربي، وزعيمًا له (الفاخوري، ١٩٨٦م:٦٨). فسعيد علوش مثلا، بالرغم من قوله:" نلاحظ كيف يزعم جرجي زيدان.. أنه أول من استعمل عنونة تاريخ الأدب في العالم العربي" (علوش، ١٩٨٧م:٣٥٦) ، لا يتورّع عن أن يعدّه أبًا تاريخيًا لتاريخ الأدب العربي، فهو يقول: "وقد اخترنا هنا الوقوف عند جرجي زيدان، كأبّ تاريخي لتاريخ الأدب العربي" (علوش، ١٩٨٧م:٣٥٩) ، وإن كنا نجده مع ذلك يعدّ كارل بروكلمان بمثابة الأب الشرعي للأدب العربي.

تلقي المفهوم ومستواه التداولي:

عرفنا ممّا سبق أن مفهوم تاريخ الأدب جاء وافدًا إلى الثقافة العربية، من جملة ما نُقل إليها من العلوم والمعارف الأخرى، من الغرب، وبخاصة من أوربا، وسننظر هنا إلى الأدب العربي بوصفه متلقيًا؛ لنرى الكيفية التي تعامل بها مؤرخو الأدب العربي مع هذا الوافد الجديد، و الصورة التي وصل بها إليهم، وما إن كانوا قد عملوا بها أم رفضوها أم حوّروها إلى صورة أخرى: حسنة أو مشوّهة.

= = العدل ". ينظر: (فيصل، ١٩٨٢م: ٢٦) وقد وصفها بروكلمان بأنها ضئيلة القيمة، ولعل هذا الأمر ما جعل مؤلف كتاب (أعلام الأدب المعاصر في مصر) يقول إن كتاب حسن توفيق العدل طبع عدة مرات كان آخرها عام١٩٠٦م.

الذي يظهر من خلال النظر في مدوَّنة مؤرخي الأدب العربي أنّ أصحابها كانوا -في استقبالهم هذا المفهوم- متفاوتين، فمنهم -وهو الأغلب- مَن تلقى هذا العلم بمزيد من القبول والرضا والعمل به، والدعوة إلى اتِّخاذ الغربيين فيه قدوة، وكأنّما قد وقعوا على شيء يلبي رغبتهم في التأليف، أو على طريقة مهّدتْ لهم السّبيل إلى تقديم تاريخ أدبهم بطريقة لم يعهدوها من قبل. لذا نجد أن هذا النوع من التأليف لاقى على مستوى التداول انتشارًا واسعًا إبّان ظهوره في العقد الأول من القرن العشرين(١٩)، وبخاصة في الفضاء التعليمي الجامعي، فأصبح كل أستاذ من المشتغلين بالأدب يحاول أن يكون له سهم فيه، ولو على مستوى المذكرات التي يكتبها لطلابه في الجامعة.فحفني بك ناصف يُثني على المستشرقين، ويدعو لهم بموفور الجزاء لقاء عملهم في تاريخ الأدب بهذه الطريقة، ونقلها إلى العرب.وهو يرى أنّ يتَّخذهم العرب قدوة لهم في هذا المجال. يقول مقرّظًا لهم: "إنهم ألفوا في العربية كتبًا نافعة وطبعوها، فجزاهم الله خيرًا، وإن كان من الضروري أن يكون لنا قدوة من أهل أوربا حتى في أخصّ خصائصنا فها هي ذي القدوة متجلّية للعيان..." (ناصف، ١٩٥٨م:٢). ويشاطره هذه الرؤية جرجي زيدان، وطه حسين، أما الزيّات فيأخذ على العرب- قبله- عدم فطنتهم إلى هذا الفن معلِّلًا ذلك بفشلهم في التاريخ العام أصلًا، ويقول:" وأعجب العجب أنّ العرب الذين خلقوا من النحو فلسفة...لم يقعوا على هذا الفن، ولم يفطنوا له، وسبب ذلك يا سادة أن العرب الذين تميّزوا من الأمم كلها في التاريخ الخاص، أو تراجم الأشخاص، فشلوا كل الفشل في التاريخ العام" (الزيات، د ت:١٢)(٢٠). إلا أنّ منهم -وهم قلة- من رفضوا هذا المفهوم ونقدوه نقدًا حادًّا، ورأسُهم في هذا الرافعي، فهو قد شنّع على من اتّخذ هذه الطريقة من العرب، ونعتهم بالضعفة، بتقليدهم للغربيين فيها، ونقد هذا العلم على مستوى التسمية والعمل، ومما قال عن التسمية بـ(تاريخ أدبيات اللغة العربية): "هذا هو الاسم الذي ضَربتْ به الذلة على كل كتاب عربي، وقلمّا يغيّرون منه إلا لفظة أدبيّات يبدلونها بآداب، وإني لو لم أكن أعرف أن هذا العلم ينقله الضعفة عن موضوعات اللغات الأعجمية ويحتذون مثالها فيه،

(١٩) جاء في كتاب (تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام) الذي ألفه د. نوري القيسي وآخرون، ص ٢٥.أن عدد تلك المؤلفات بلغ في عام١٩٣٠م خمسة وعشرين كتابًا، وقاربت في السنوات الأخيرة ضعف هذا العدد.

(٢٠)ونحن نستغرب كيف لم يفطن الزيات إلى الفرق بين المصطلحين تاريخ الأدب والتاريخ الأدبي، وهو الذي ألمّ بالثقافة الفرنسية ومارس التأليف في تاريخ الأدب!، وليس من الدقة العلمية في شيء أخذ حكمه بفشل العرب في التاريخ العام، على إطلاقه، فللعرب في التاريخ جهود لا تكفر ، ليس هنا مجال بسطها.

لعرفت ذلك من ركاكة هذه التسمية واختبالها"(الرافعي، ١٩٧٤م:١/١٧). أما على المستوى العملي فهو يرى أن العمل فيه يقسّم الكتاب إلى شطرين، شطر مثقل بالتراجم للأشخاص، يلحقه بسجل الوفيّات، وشطر مثقل بأسماء الكتب، يلحقه بكتب الفهرست.والذي يظهر من نقد الرافعي هذا أنه ينصبّ على طريقة التقسيم إلى عصور، التي شاعت في تلك الحقبة، وتداولها الكثيرون من مؤرخي الأدب.وبالرغم من نقده للتسمية، فقد سمّى بها كتابه (تاريخ آداب العرب)، ولم يلتفت إلى ماهيّة المفهوم.

وممّا يُلاحظ عند بعض مؤرخي الأدب العربي، أنهم يسيرون في اتجاه هذا النقد، ولو على سبيل التلميح. فعمر فروخ مثلًا يرى في كتاب بروكلمان (تاريخ الأدب العربي)، "جريدة إحصاء لكل مَن كتب وجميع ما كُتب باللغة العربية"(فروخ، ١٩٨١م:١/١٨)، ونوري القيسي وصاحباه يأخذون على العرب اتباعهم خطوات الغربيين في هذا التأليف.جاء في تقديمهم لكتابهم (تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام) قولهم: " فاقتفى المؤلفون الخطوات التي اتبعها مؤلفو تاريخ الأدب الأوربي، وأخذوا عنهم ما وضعوه لأدبهم، واستعاروا ما خُصص لمذاهبهم الأدبية ليلبسوه لنماذجنا ويحددوا بموجبه مسيرتنا"(القيسي، ١٩٧٩م:٣٤). على أن التّوجه الذي يكاد أكثر مؤرخي الأدب العربي يلتقون عنده، هو رغبتهم في أن يكون للعرب تاريخ أدب خاص بهم، نابع من ثقافتهم، على حد ما ذهب إليه حفني ناصف في قوله: "فعلينا أن نحذو حذوهم، ونأتي بما فيه المقنع، فنحن بحاجتنا أعرف، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه"(ناصف، ١٩٥٨م:٤) ، بل يجعل عمر فرّوخ ذلك الهم حافزه إلى التأليف في تاريخ الأدب، فهو يدعو إلى:" أنّ يكون منهاج عربي خالص لا يأخذ من المصطلح الفرنجي إلا ما نقص من المنهاج العربي"(فروخ، ١٩٨١م:١/١٨). ولعل هذا التّوجه محاولة منهم لتمييز أعمالهم عن عمل المستشرقين؛حتى لا تُرمى مؤلفاتهم-بعبارة حسين الواد- بالنقل عنهم نقلا أمينًا(الواد، ١٩٩٣م:١٢٧).

ولم يَغفل أكثر مؤرخي الأدب العربي الحديث عن العلاقة بين هذا العلم الجديد، و ما في تراثهم الأدبي من مصنّفات أدبية، ككتب التراجم والطبقات، فمنهم من يرى أن العرب القدامى، عرفوا تاريخ الأدب ممارسةً ونشاطًا تأليفيًا لا مصطلحًا. فجرجي زيدان، يرى أن العرب، وإن لم يؤلفوا تاريخ آداب، من أسبق الأمم إلى التأليف في موضوعه، ويَعُدُ كتاب الفهرست لابن النّديم النّموذج الأول لذلك التاريخ، ومع ذلك فهو يرى أنه لا يصح تسمية مثل هذه الأعمال بتاريخ أدب بالمعنى المراد اليوم(زيدان، ١٩٥٧م:١/٧)، ويذهب حفني ناصف بهذه الرؤية إلى مدى أبعد، فهو

يرى أن تاريخ الأدب "لم يغفله علماء العرب كما يتوهّم كثير من الناس، بل ذكروه مبعثرًا في كتبهم المطوّلة التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا جمعتها؛ لأن الكتب الأدبية عندهم لا موضوع لها معيّنا"(ناصف، ١٩٥٨م:٤). وفي السِّياق نفسه يرى محمد حسن درويش، أن العرب القدامى عرفوا تاريخ الأدب على غير ما عرفه المستشرقون، فأبعد النجعة كما يُقال، إذ إن تاريخ الأدب يتجلّى عنده في مظاهر منها أسواق العرب، وما يدور فيها من شعر ونقد.وأما القيسي وصاحباه فيرون أن الأدب العربي قد أُرِّخ من خلال كتب الطبقات والتراجم(القيسي، ١٩٧٩م:٢٥ ودرويش، ١٩٧٤م:١٠). غير أن الزيّات، يرى أن العرب لم يعرفوا هذا العلم، ولا تُعد كتب الطبقات والتراجم منه في شيء، فهو يقول: "ونسبة هذه الكتب إلى تاريخ الأدب كنسبة الحجارة إلى القصر المشيد؛ لأنها أخبار مفردة غير مرتبطة لا تظهر مابين الشعراء والكتاب من علاقة في الصناعة والغرض والأسلوب، ولا تذكر ما عرا النظم والنثر من تحوّل وتقلّب"(الزيات، د ت:٤). ويشاطره هذا الرأي حنا الفاخوري، مثلما يشاطره من أصحاب المرحلة التقويمية شكري فيصل، فهو يرى عدم إدراج المصنّفات العربية القديمة في تاريخ الأدب؛ لأنّها مزيج من ملاحظات متفرّقة، ومجموعة من نظرات متوزّعة، لا سلك ينظمها ولا صلة توحدها، ويذهب إلى أن المكتبة العربية القديمة لم تعرف تاريخ الأدب بهذا المعنى الذي نفهمه اليوم(فيصل، ١٩٨٢م:١٣). وفي حين يردّ حسين الواد عدم اعتبار تلك المصنّفات القديمة من تاريخ الأدب عندهم إلى خلوها من المنهج، يرى أحمد بوحسن، أنّ التأليف في الأدب وتاريخه كان قد عُرِفَ تصورًا عربيًا خاصًا في الكتابات الأدبية العربية القديمة قبل القرن التاسع عشر، دون أن يرد فيها ذكر لمصطلح (تاريخ الأدب) (مفتاح، ١٩٩٩م:٤٢) ، ويَعُدُ كتابَ الفهرست المحاولةَ المنهجيّة الأولى التي لامستْ ملامح مفهوم تاريخ الأدب، موافقًا جرجي زيدان، ومقارنًا ذلك برؤية روبير أسكاربيت في اعتبار عمل كليماك دوسيرين الذي وضع مسردًا للكتّاب ومؤلفاتهم، المحاولة الأولى لتاريخ الأدب(بوحسن، ٢٠٠٣م:١٤٢). وتبدو هذه الرؤية أكثر منطقيّة، وأصدق على واقع العمل في المصنّفات الأدبيّة القديمة، وإن كانت لا تعني، السير مع الاتجاه الذي يحاول أن يُوجد -ولو قسرًا- لكل علم جديد يفد إلى الثقافة العربية أصلًا في التراث العربي.

الوعي بالمفهوم وتحولاته

يبدو أن الصورة التي وصل بها مفهوم تاريخ الأدب إلى العرب في أواخر القرن التاسع عشر هي صورته العامة التي عمل بها بروكلمان في كتابه، وهو ما يسمّيه

أكثر الغربيين، ومنهم بروكلمان نفسه (تاريخ أدب)، بعد أن شهد المفهوم نقاشًا ونقدًا ودراسات عند الغربيين، وقد تحوّل عندهم وفق الرؤية اللانسونية، إلى ما يسمّى بـ(التاريخ الأدبي).وقد ألمح بروكلمان إلى شيء من ذلك التحوّل في مقدمة كتابه، كما أسلفنا.

وكان العرب قد عرفوا المفهوم، عن طريق اتّصالهم بالغرب وألّفوا فيه كتبًا هي في أصلها مذكرات لمحاضرات ألقاها أساتذة الأدب على طلابهم في الجامعة المصرية، وذلك قبل وصول كتاب بروكلمان إليهم. وقد سبقه إلى التأليف في تاريخ الأدب العربي بزهاء نصف قرن من الزمان مستشرقون آخرون. ولمّا كانت الطريقة التي اتّبعها بروكلمان في كتابه من أيسر الطرق في التحقيب للأدب العربي وتدريسه[21]، وهي طريقة التقسيم إلى عصور، توجّهت الأنظار إليها، وكثر الجدل حولها، بين مؤيّد ومعارض.إلا أنّها قد صرفتْ الكثيرين من مؤرخي الأدب العربي عن مناقشة ماهيّة المفهوم، ودلالته، فاهتموا بمدى صلاحيّتها للتاريخ للأدب، وملاءمتها إلى تحقيبه. يتضح ذلك من خلال عملهم وتعريفهم به. لذا وصف حسين الواد تعريف بعضهم به بـ"الافتقار إلى كثير من الدقة والضبط، وأنهم لم يتبيّنوا بعدُ حدوده، ولم يميّزوه عن غيره"(الواد، ١٩٩٣م:١٠٣). والواقع أن مؤرخي الأدب العربي ليسوا سواء في الوعي بالمفهوم.فمنهم من لم يقف عند تعريف المفهوم، ولم يُعره اهتمامًا، وذهب إلى مناقشة الطريقة التي يؤرخ بها للأدب، ولكن يتّضح من خلال عمله عدم إداركه لمعنى المفهوم الذي يعنون به كتابه. كما فعل الرافعي، وذلك ملحظ أخذه عليه النّقاد كما عند حسين الواد مثلًا(الواد، ١٩٩٣م:١٠١). ومثله محمد بك دياب فهو لم يذكر تعريفًا لتاريخ الأدب، وإنما تركه يُفهم من قوله في المقدمة: "اهتديت إلى وضع مؤلَّف .. شرحتُ فيه نشأة العلوم الأدبية، وسيرها في مختلف العصور، والكتب التي ألفتْ فيها وأزمانها وحياة مؤلفيها"(دياب، ١٩٠٠م:المقدمة)، وكان قد سمّى مؤَّلفه بـ(تاريخ أدب اللغة العربية).وفي هذا الشرح موافقة لعنوان الكتاب، وإن كنّا لا نشك في أنّه لم يتنبّه للتحوّل الذي دعا إليه لانسون. أما العدل والإسكندري، وحفني بك ناصف- وتبعهم فيما بعد حنا الفاخوري[22]-فإنهم يعرِّفون تاريخ الأدب، ولكن

(٢١) دأب أكثر مؤرخي الأدب العربي على تسمية الطرائق التي يحقِّبون بها للأدب بالمناهج ، وأرى أن هذه التسمية من باب التّجوُّز، فهي ليست مناهج بمفهوم المناهج الأدبية اليوم، وإنما هي طرائق، حتى فشكري فيصل -على سبيل المثال- وسم كتابه بـ(مناهج الدراسة الأدبية) ثم ذهب يتحدث عنها في ثنايا كتابه تحت اسم نظريات.

(٢٢) وصف سعيد علوش عمل حنا الفاخوري وصفًا لا يخلو من مبالغة عدّ فيه تجربته فريدة. يقول: "تميّزت عن كل ما أنجز في العالم العربي بمراحلية لم نر شبيهًا لها في كل التقاسيم التي مرت بنا -غربية كانت أم شرقية- ذلك أن حنا الفاخوري عمد إلى تقسيم بحسب ثلاث نهضات خارقًا بذلك معهود المتداول والمروّج والنمطي" (علوش،

يظهر من خلال تعريفهم به عدم وعيهم بالمعنى الصحيح للمفهوم، كما في تعريف حفني بك ناصف في قوله :" فتاريخ الأدب، أو حياة اللغة العربية، نوع من التاريخ الخاص يبيّن أحوال اللغة العربية واستعمالاتها وأطوارها المختلفة من بدء نشأتها إلى الآن.ويدخل في ذلك وصف الكلام من شعر ونثر في كل عصر من عصور التاريخ ، وذكر نوابغ الشعراء والخطباء والكتّاب والمؤلفين، وبيان تأثير كلامهم في من بعدهم وتأثرهم بمن قبلهم وما حولهم، والموازنة بينهم والإلمام بمؤلفاتهم"(ناصف، ١٩٥٨م:٥). أما جرجي زيدان والزيّات وشوقي ضيف فإنهم يعرِّفونه و يُفرِّقون في التعريف بين العام والخاص، تبعًا لتعريف الأدب، وهم لا يضيفون شيئًا بالتعريف الخاص سوى أنهم يقصرون العمل على الأدباء وأعمالهم، وهو ما أخذه عليهم حسين الواد(الواد، ١٩٩٣م:١٠٤) ، فكأنّهم قد جعلوا الأعمال الأدبية أنموذجًا من بين علوم المعرفة الأخرى التي يُؤرّخ لها، بل يمكن جعل بعض الأعمال الأدبية أنموذجًا للأنموذج، مثلما عمل أحمد بوحسن بكتاب الأغاني في تاريخ الأدب، على أن بعض مؤرخي الأدب العربي يظنون أن المفهوم من ابتكار بروكلمان أصلًا، وأنه هو الذي شقّ طريقه، ولم يُسبق إليه، كما نجد عند عمر فرّوخ في معرض حديثه عن عمليّ بروكلمان وجرجي زيدان، إذ يقول :"على الرغم من أن الأول كان مبتكرًا شاقًّا لطريق لم تشقّ من قبل، وأن الثاني كان مقلِّدًا وسائرًا على طريق قد شقّها غيره"(فروخ، ١٩٨١م:١/١٨).

فبالرغم من الأعمال الجليلة التي قام بها أصحاب المرحلة التأسيسية، نجدهم لا يكترثون بأن يعنونوا كتبهم بتاريخ أدب، ويمارسوا تاريخًا أدبيًا، أو العكس، أو المزج -دون وعي- بينهما.وقد انعكس هذا التصوّر على الطرائق التي أرّخوا بها للأدب، فجاءت أعمالهم في أغلبها مزيجًا من تاريخ الأدب، والتاريخ الأدبي على حدٍ سواء، بل ربما تجاوزوا ذلك إلى الدراسات النقدية، والتنظير للأدب.ومن هنا يتّضح أنهم لم يميّزوا بين المفهومين في تسميتهما الاصطلاحية تاريخ الأدب والتاريخ الأدبي، بل دمجوا في كتبهم بينهما. وإن لم تخل مدوّنتهم -بعامة- من لمحات مضيئة، ونظرات ثاقبة، تنم عن فهم ضمني عند بعضهم، للفرق بين المصطلحين.فهذا طه حسين، ينتقد في تساؤلاته، مثل هذا الخلط الذي يسميه مذهبًا مشوّهًا فيقول:" نشأ مذهب مشوّه مختلط، هو مذهب العامّة من أساتذة الآداب في مدارس مصر، لا يتعمّقون في درس الآداب على المذهب القديم فيصقلوا ذوق الطالب، ويقووا

١٩٨٧م:٣٧٢)، وهو يعـني التقسـيم الذي سـمّاه =
= الفاخوري النهضة الجاهلية والأموية، والنهضة العباسية، والنهضة الحديثة، وبالرغم من أن جزءًا من النهضة الأولى والثانية والثالثة كلها في الإسلام، لم يشأ الفاخوري نسبتها إليه.

ميله إلى النقد اللغوي، ولا يذهبون مذهب العلماء من الفرنج في تحليل الآداب وردّها إلى مصادرها الأولى من المؤثرات في الحياة النفسية وغير النفسية في الأفراد والجماعات، إنما يسمون طائفة من الشعراء و الكتّاب ويؤرخون مولدهم وموتهم، ويلقنون الطلاب شيئًا من منظومهم ومنثورهم، وهم يسمّون هذا النحو الممسوخ من الدرس تاريخ الآداب"(حسين، ١٩٣٧م:١٠). إنه يأخذ على هؤلاء الأساتيذ عملهم بتاريخ الأدب الذي ينعته بالمشوه حينًا، وبالممسوخ حينًا، وهو ما أصبح عند الغربيين أنفسهم تقليديًا، ومرحلة من مراحل تطوّر المفهوم في رحلته المعرفية، وهو ما تجاوزه التاريخ العام، وطلّقه منذ ثلاثين سنة على حد قول جيرار جينيت، وجعله رولان بارت موضع تساؤل في مقاله المعنون بـ(أتاريخ أم أدب)(الطالب، ٢٠٠٨م:٦٨). أما هانس روبرت ياوس فقد رأى سبيله إلى التهافت المتواصل، وزوال الحظوة، ولم يعد يجد خارج التعليم تواريخ أدب إلا نادرًا(السماوي، ٢٠٠٣م: ٧٥).

وإذا أردنا أن نستبين رأي طه حسين في تاريخ الأدب، وجدناه مبثوثًا في عدد من كتبه، فهو أصلًا لم يؤلف كتابًا خاصًا، يحمل عنوان تاريخ أدب أو تاريخ أدبي، ولكنه ناقش المفهوم مناقشة علمية متأنّية، أظهر من خلالها آراء يوافق بعضُها التّوجهات الجديدة للتاريخ الأدبي عند الغربيين، مثل دعوته إلى نبذ تاريخ الأدب القائم على التراجم والمقتطفات، ونشأة الأعمال حسب التسلسل التاريخي، والدعوة إلى التاريخ الأدبي القائم على إظهار لوحة الحياة الأدبية بتعبير لانسون وربطها بسياقاتها المختلفة، فنجده يوافق الشكلانيين الروس، في أن يؤرخ للأدب بذاته ولذاته، وذلك في دعوته إلى أن يُدرَس الأدب لنفسه، وفي نفسه من حيث هو ظاهرة مستقلة.وهو يرى أن تحقق علمية تاريخ الأدب، تستوجب أن يفسر لنا الظواهر الأدبية، ويستنبط قوانينها، غير أن الذوق -في رأيه- سيبقى حائلًا دون تلك العلمية(حسين، ٢٠١١م:٤٠و٤٧). ومع هذا فإن طه حسين لم يقف عند المصطلحين على مستوى الفرق بين مركبيهما الإضافي والنعتي، بل نجده يستخدم كل واحد منهما مكان الآخر دونما تفريق بينهما.ومن هذه اللفتات ما يمكن أن يُسجّل لإبراهيم أبو خشب، فكأنه في رؤيته ينظر إلى الشكلانيين الروس في تركيزهم على فكرة التطور الأدبي في تاريخ الأدب، وبخاصة عند تينيانوف. يرى أبو خشب ضرورة أن يحوّل معنى مادة تاريخ الأدب إلى الإحاطة بالتطور الأدبي المتنقّل عبر العصور والأحداث والأزمنة والدول،(أبو خشب، ١٩٨٧م:١٠). أما التّوجهات الجديدة للتاريخ الأدبي التي تجاوزت تصوّر لانسون وقد أصبح بالنسبة إليها تقليديًا، فلم يكن لها في مدوّنة مؤرخي الأدب أيّ ذكر، حتى عند المتأخرين منهم، أو بعض أصحاب

المرحلة الثانية. لذا يرى أحمد بوحسن أن تاريخ الأدب العربي بقي سجين التّوجه اللانسوني(مفتاح، ١٩٩٩م:١٤٦) ، وهو الموقف نفسه الذي اتّخذه سعيد علوش، فتاريخ الأدب العربي في رأيه توقف عند حدود التاريخ الوضعاني واللانسوني[٢٣]. أما إذا نظرنا إلى أصحاب المرحلة التقويمية، فإننا نجد أن شكرى فيصل قد احتاط لنفسه، بأن جعل عمله مقصورًا على المناهج، كما في عنوان كتابه. يقول:" ولقد قصرتُ هذه الرسالة على مناهج الأدب العربي وحده"(فيصل، ١٩٨٢م:١٣)، ومع ذلك فهو يُورد مصطلحي تاريخ أدب والتاريخ الأدبي، في ثنايا كتابه دون تفريق بينهما، بل يذكر التاريخ الأدبي في صورته الجديدة، وهو يريد تاريخ الأدب، كما عند بروكلمان، وليس هذا بالتاريخ الأدبي، بَلْهَ الجديد. وينسحب هذا على عمل محمد الكتّاني. أما الشاذلي فلم يعرِّج على المفهوم. ويمكن اعتبار حسين الواد أول مَنْ ناقش المفهوم برؤية تنم عن وعي عميق، على مستوى دلالته في تركيبيه الإضافي والنعتي، وذلك في الآفاق التي ذيّل بها كتابه، الذي يعد المرتكز الرئيس للمرحلة التقويمية في تاريخ الأدب العربي.يقول معلِّقًا على تغيير العنوان من (تاريخ الأدب الفرنسي) إلى (تاريخ فرنسا الأدبي):" ليست المسألة مسألة تلاعب بالألفاظ كما يبدو لأول وهلة؛ لأننا عند ما نضع نصب أعيننا أن نكتب في(تاريخ الأدب العربي)، على سبيل المثال، ننطلق من اعتقاد ضمني نتصوّر بمقتضاه أن للعرب تواريخ عديدة بعضها علمي وبعضها أدبي أو ديني أو سياسي أو اقتصادي، ونرى بعض هذه التواريخ مستقلًا عن بعض استقلال مواضيعها كل بذاته، ونجعلها بعد ذلك تلتقي في تاريخ عام يحويها كلها دون أن يؤثر في استقلال أي منها الذاتي ، أما إذا قصدنا إلى كتابة (تاريخ العرب الأدبي) فإننا نصدر عن فهم ضمني يرى للعرب تاريخًا واحدًا، ذا مظاهر عديدة، منها المظهر الأدبي، فلا نتناوله من حيث هو كائن مستقل بذاته له علاقات خارجية بسائر الظواهر الأخرى وبالتاريخ العام، وإنما نتناوله من حيث هو وجه من وجوه أخرى لحركة واحدة هي حركة الحياة في الشعوب، وبالتالي ندرج الأدب في التاريخ من غير أن نفتعل له تاريخًا مستقلا"(الواد، ١٩٩٣م:١٢٩).

وليس شرحه للمفهوم بتركيبيه الإضافي النعتي، بأعمق من رؤيته الواضحة التي تعد مبكرة نسبيًّا بالنسبة إلى العرب في تصوّر التّوجهات الجديدة للتاريخ الأدبي، فهو يرى أن الطريقة التقليدية التي يؤرّخ بها للنصوص الأدبية ونشأتها، وظهور أصحابها، وانضمام بعضها إلى بعض على خط الزمن"تفتقر إلى البحث عن عمل الظاهرة الأدبية واستعمالها في المجتمع، وتفتقر بالتالي إلى تحليل ظروف

(٢٣) ذكر سعيد علوش رأيه هذا في التقديم الذي صدر به ترجمة حسن الطالب لكتاب موازان، ما التاريخ الأدبي؟.

نشأة النصوص، وطرق حياتها، ومكانتها بين المعارف، وعلاقتها بالنظام الاجتماعي والاقتصادي الذي تظهر فيه"(الواد، ١٩٩٣م:١٠٩). ومثل هذا الوعي بمعنى المصطلحين نلمسه في المقدمة التي كتبها أحمد السماوي للمقالات التي ترجمها وجمعها في كتاب عنونه بـ(مقالات في التاريخ الأدبي). فهو يقول:"ويبدو أن كثيرين ممن نظّروا للتاريخ الأدبي لم يفرزوا بين تاريخ للأدب وتاريخ أدبي، وحتّى إذا استعملوا مصطلح تاريخ الأدب وهو الأكثر شيوعًا و استعمالا، كان مقصدهم التاريخ الأدبي ذاته. وانبناء التاريخ الأدبي على مركّب نعتي ينعت فيه التاريخ بالأدبي، أو انبناء تاريخ الأدب على مركّب إضافي الإضافة فيه محضة أو معنوية، يقتضي النظر في كليهما في النعت ومنعوته، أو المضاف والمضاف إليه، وهذا يعني أن علاقة النعت أو الإضافة تميّز هذا الصنف من التاريخ من غيره من التواريخ الأخرى، بل من التاريخ المحض نفسه"(السماوي، ٢٠٠٣م:المقدمة). أما من فرّق بين المفهومين على مستوى التقليدي والحديث، وهم يقصدون بالتقليدي(تاريخ الأدب)، وبالحديث (التاريخ الأدبي)، فلعل أقدم نص عربي أُشير فيه إلى ذلك الفرق -بحسب ما أُتيح لي الاطلاع عليه من مراجع- كان لمحمد غنيمي هلال في معرض حديثه عن فضل الحركة الرومنسية في تطوير الأدب، وتاريخه، وقد كان قبلها على حد قوله:" لا يتجاوز ذكر حياة المؤلف، على حده، وذكر نماذج منها، وشرح بعض معانيها اللغوية، وخصائصها البلاغية، ...ولم يكن منهم من يربط بين حياة المؤلف وبيئته وجنسه وطبقته، وإنتاجه الأدبي، ليشرح ذلك الإنتاج، ويبين خصائصه الفنية، وكيف تأثر المؤلف فيه بسابقيه، ثم مدى أثره فيهم، وذلك هو معنى تاريخ الأدب الحديث"(هلال، ١٩٨٣م:٤٢-٤٣). ويستعمل مثل هذا المستوى من الفرق أحمد بوحسن، وحسن الطالب.

ولم تخل أكثر مؤلفات مؤرخي الأدب العربي- وبنوع من الإسهاب أحيانًا- من ذِكر الغرض من تاريخ الأدب والفائدة منه، على تفاوت ما بين أصحابها؛ ولكن الغرض الذي يكاد يُتفق عليه هو غرض تعليمي، ثم غرض قومي ووطني، أما الإشارة إلى غموض المفهوم وصعوبته، وإشكالية تحديد موضوعه، فتكاد تخلو منه مؤلفاتهم، وبخاصة أصحاب المرحلة الأولى.وإذا كان حسين الواد قد استنتج من آراء طه حسين أنه يدعو إلى ضرورة الكف عن مزاولة الكتابة في مادة تاريخ الأدب، لما عليه الكتابة في هذه المادة من عسر ومشقة، فقد أشار أكثر أصحاب المرحلة التقويمية، ومن خصّوا المفهوم بالتأليف، إلى صعوبة المفهوم وغموضه، رادّين أسباب صعوبته وغموضه إلى المصطلحين اللذين يتكوّن منهما المفهوم، أي الأدب والتاريخ. رأى الواد أنه ورث

كثيرًا من الخلافات العالقة بالمصطلحين القديمين اللذين يتكوّن منهما(الواد، ١٩٩٣م:٤٩)، وإلى هذا يذهب بوحسن عندما يشير إلى أن" مصطلح تاريخ الأدب يتميّز بنوع من الإبهام الأصلي الذي استمده من طبيعة تركيب مادته اللغوية والمصطلحية والمفهومية، ومن التعالق المفترض في أصل المفهوم"(بوحسن، ٢٠٠٣م:٥٧)، وهو ما ذهب إليه السماوي والطالب.أما عدنان عبيد فقد عدّه "أشق عمل علمي على الاطلاق، ذلك لأن التاريخ الأدبي ليس كغيره من العلوم لما يشتمل عليه من ازدواجية تجمع بين الفن والعلم، ولأنه يؤرخ لموضوع لا موضوع له على وجه التحديد ، ولما للآداب من شمولية وإطلاق"(العلي، د ت:٥٥). وهو قول لا يخلو من مبالغة.

الخاتمة

نخلص مما سبق إلى أن مفهوم تاريخ الأدب من المفاهيم التي نشأتْ حديثًا في أوربا، حيث كان أول ظهور له باسمه المتداول (تاريخ الأدب) في مستهلّ القرن التاسع عشر.وقد مهدتْ لظهوره إرهاصات من الأعمال الموسوعية، وخزانات الكتب التي بدأت، من القرن السادس عشر، آخذة في التطوّر حتى استقرت على هذه التسمية، التي ساهم في ظهورها التعليم النظامي بشكل كبير.وبسبب تداعيات النهضة الأوربية حينما "بدأت المعارف تستقل بموضوعاتها ومجالاتها ولغاتها بحيث كان المبدأ التنظيمي والتصنيفي هو السّمة الغالبة على تلك المجالات، ولحق ذلك الفعل المجال الأدبي"(مفتاح، ١٩٩٩م،:٣٦،٧٦) وجدت تلك التسمية التي كان مؤدَّاها اختزالٌ لتاريخيّة الأدب في تحقيبه حسب التسلسل الزمني، وفي تمثيل لسياقه الخارجي بانتخاب نُبَذٍ مبتسرة من المعلومات عن الأعمال والأعلام، وجدتْ تحولًا جديدًا، أفرزته هزّات نقدية من الجدل والنقاش على أيدي عدد من الأدباء الغربيين كان من أشهرهم في هذا الشأن غوستاف لانسون؛ ليُصبح (التاريخ الأدبي) مفهومًا مغايرًا للمفهوم الأول (تاريخ الأدب) على مستوى التصوّر والعمل، يقوم على فهم لعلاقة التاريخ بالأدب، ليكون كل واحد منهما مكوِّنًا جوهريًا من مكوّنات الآخر، وذلك عند كثير من الغربيين والمستشرقين، الذين استمرّت نقاشاتهم في هذا الحقل داعية إلى طرح بدائل وتوجهات جديدة مختلفة يُحقّب بها للأدب. ليصبح النص الأدبي هو المحور الرئيس الذي يتجه البحث فيه إلى كيفية تقوم على ربطه بسياقاته الاجتماعية والسياسية والتاريخية والاقتصادية. كل ذلك قبل أن تتلقاه الثقافة العربية من ضمن ما انتقل إليها من الغرب على المستويين المادي والمعنوي، ويُحْدِثُ - بعد انتقاله- تحولًا في مجال التأليف في تاريخ الأدب العربي. ولعل انبهار

العرب بتلك الطريقة التي أرّخ بها للأدب، وهي طريقة التقسيم إلى عصور، وهي أول ما وفد إليهم، قد صرفهم عن الوقوف عند ماهية المفهوم، ومناقشة إشكالاته العديدة، التي مازالتْ بحاجة إلى مزيد من البحث والتمحيص.وعندما انتصبت التسمية على رأس تلك الإشكالات، جاء المفهوم في مدوّنتهم خليطًا بين المفهومين تاريخ الأدب والتاريخ الأدبي، وتعاملوا معهما -كما عرفنا- على أنهما مفهوم واحد. وقد تجلّى الوعي به عند فريق منهم، وهم بعض أصحاب المرحلة الثانية، الذين قوّموا التجربة الأولى، وألفوا في المفهوم، وقد كان أكثرهم من العرب المغاربة، ولعل ذلك عائد إلى أنّهم كانوا على تماسّ كبير بالثقافة الفرنسية.أما أصحاب المرحلة الأولى من مؤرخي الأدب العربي، الذين خلطوا بين المفهومين في تسميتهما الاصطلاحية، فقد كانوا من العرب المشارقة. لذا بدا عمل أسلافهم في كتب الطبقات والتراجم من حيث الممارسة أكثر شبهًا، بمفهوم تاريخ الأدب بمركبه الإضافي عند الغربيين، كما يتّضح في الفهرست لابن النديم، والشعر والشعراء لابن قتيبة وأضرابهما.

المصادر والمراجع

أبو خشب، إبراهيم علي، *تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر*، ط/ ٢، ١٩٨٧م الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة.

بروكلمان، كارل، *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة عبدالحليم النجار، بدون تاريخ ، دار المعارف .

بلاشير، رجيس، *تاريخ الأدب العري*، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، ١٩٨٦م الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس.

بوحسن، أحمد، *العرب وتاريخ الأدب*، نموذج كتاب الأغاني، ط/ ١، ٢٠٠٣م، دار توبقال للنشر.

حسين، طه، *تجديد ذكرى أبي العلاء المعري*، ط/ ٣، ١٩٣٧م، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر.

حسين، طه، *في الأدب الجاهلي*، ط/ ١٩، ٢٠١١م، دار المعارف، القاهرة.

درويش، محمد حسن، *تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، ١٩٧٤* م، مكتبة الكليات الأزهرية.

دياب ، محمد بك، *تاريخ أدب اللغة العربية*، ط/ ٢، ١٩٠٠م، مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر.

الرافعي مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، ١/ ٨، ط/ ٤، ١٩٧٤م، دار الكتاب العربي، بيروت.

الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، ط/ ١٢، عام١٩٩٧م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

الزيات، أحمد حسن، *تاريخ الأدب العربي*، ط/ ٢٥، بدون تاريخ، دار نهضة مصر، القاهرة مصر.

الزيات، أحمد حسن، *في أصول الأدب*، محاضرات ومقالات في الأدب العربي بدون تاريخ ، توزيع

شركة الخزندار، السعودية، جدة.

زيدان، جرجي، *تاريخ آداب اللغة العربية*، الطبعة التي راجعها وعلّق عليها شوقي ضيف، ١٩٥٧م، نشر دار الهلال.

السباعي، بيومي ، *تاريخ الأدب العربي* ١٩٥٩م، مكتبة الأنجلو المصرية ط/ ٢ القاهرة.

السكوت، حمدي، *أعلام الأدب المعاصر في مصر١٩٧٥* م، ط: الجامعة الأمريكية، القاهرة.

السماوي، أحمد، *مقالات في التاريخ الأدبي*، ط/ ١، عام٢٠٠٣م، مطبعة التسفير الفني صفاقس.

الشاذلي، محمد عبد السلام، *الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث*، ط/ ٢، ٢٠٠٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شيخو، الأب لويس، *تاريخ الآداب العربية* ط/ ٣، ١٩٩١م، منشورات دار المشرق بيروت، لبنان.

الطالب، حسن، *مفهوم التاريخ الأدبي*، مجالات التوسع وآفاق التجديد، ط/ ١، ٢٠٠٨م دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط.

العدل، حسن توفيق، *تاريخ آداب اللغة العربية*، تقديم وتحقيق د. وليد محمود خالص ٢٠٠٢م، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

العروي، عبد الله، *مفهوم الإيديولوجيا* ط/ ١ ١٩٨٠م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب بيروت، لبنان.

علوش، سعيد، *مكونات الأدب المقارن في العالم العربي*، ط/ ١، ١٩٨٧م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت.

العلي، عدنان عبيد، *الأدب العربي بين الدلالة والتاريخ*، تحقيق سامر أمين دون تاريخ، نشر دار زاهر.

الفاخوري ، حنا، *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، ط/ ١، ١٩٨٦م، دار الجيل بيروت.

فرّوخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي* ط/ ٤ ، ١٩٨١م ، دار العلم للملايين، بيروت.

فيصل، شكري، *مناهج الدراسة الأدبية*، عرض ونقد وتحليل ط/ ٥، ١٩٨٢م، دار العلم للملايين، بيروت.

القيسي، نوري وآخرون، *تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام* ط/١ عام ١٩٧٩م، نشر دار الحرية للطباعة بغداد.

مفتاح، محمد، وبوحسن، أحمد، *كتابة التواريخ*، (١٩٩٩م) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم ٨١.

مفتاح، محمد، وبوحسن، أحمد، *انتقال النظريات والمفاهيم*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم٧٦.

موازان، كليمان، *ما التاريخ الأدبي؟*، ترجمة د.حسن

الطالب، ط/١، ٢٠١٠م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان.

ناصف، حفني بك، *تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية*، ط/ ٢، ١٩٥٨م، مطبعة جامعة الأزهر.

نالينو، كارلو، *تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية*، تقديم طه حسين، ط/٢، ١٩٧٠م، دار المعارف بمصر.

هلال ، محمد غنيمي، *الأدب المقارن*، ط/٣، عام١٩٨٣م، دار العودة بيروت.

الواد، حسين، *في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج*، ط/ ٢، ١٩٩٣م، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر.

الواد، حسين، *نظر في الشعر القديم*، ط/١، عام١٤٣١هـ.إصدار كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها.